Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتستهل السورة بالقسم "بالواو"، والقسم أسلوب بلاغى، يلفت هنا لفتا قويّاً إلى صور ماديّة مدركة ووقائع حسيّة مشهودة توطئة لإبراز صورة أخرى معنويّة مماثلة، والأمر الملاحظ أن الدلالة هى التى قادت التشكيل الإيقاعى إلى المراوحة بين التراكيب السجعية فى الكم المقطعى. فالضحى لا يعنى النهار كله، "وإنما هو صدر النهار حين ترتفع الشمس ويظهر سلطانها".(١) وهذا التوقيت لا يقابل مطلق الليل، ولكنه يقابل ساعة بعينها منه هى فترة هدوئه وسكونه، ومن ثم جاء الليل مقيّدًا بكلمة "سجى"، فاهتزت المسافة الإيقاعية بين أطراف المقسم به، بما يعنى أن اهتزاز المسافة ليس مجرّد تقنية شكلية، وإنما صورة مبتكرة من قبَل النص، بتوجيه من الدلالة.

وفى هذا السياق، يمكن إدراك كيف يؤسس النص للمماثلة بين الصورتين: الحسية والمعنوية. إنه يعتمد على أبعاد إيقاعية أيضًا، فيؤسس للمماثلة بين الصورتين بواسطة الإيقاع المسافى المتكرر، حيث يتحقق الموقف المعنوى – المقسم عليه– فى قوله تعالى: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) على مسافة إيقاعية مماثلة تقريبًا لمسافة المشهد الحسى –المقسم به– مما يعكس الارتباط بين طرفى القسم ويشير إليه. ونحن إذ نصل إلى تلك النتيجة تتداعى إلى الذاكرة مباشرة فكرة الشكليين الروس عن الإيقاع بمختلف أنماطه. فهم يرون أنه يشبه الصور فى كونه يقصد به الكشف عن النمط التحتى للحقيقة العليا،(٢) أى غور المعنى الكامن.

فالإيقاع العددى أو المسافى –هنا– بدا صدى لمعنى الكلام. ومن ثم وقف فى مقدّمة ما يثير المعنى، ويوحى به ويطرح علينا معانى وتفسيرات له. ويتأكد

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى، دار الصفوة، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥، مج٤، ص ٣٣٨٦.

(2) Russian Formalism History, V. Erlch, Mouton & Co., poris the Houge. 1955. P. 194.

نقلا عن، العروض وإيقاع الشعر العربى، محاولة لإنتاج معرفة علمية، سيد البحراوى، ص ١٣٥.